مجلة أبوليوس
المجلد 06 العدد 02ـ جوان 2019

أسلوبية الخطاب الروائي

Stylistic of Narrative Discourse

د. رحمون بلقاسم (المؤلّف المُراسِل)
كلية الآداب واللغات، جامعة العربي التبسي – تبسة، الجزائر
rahmoun65belgacem@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/05/29 – تاريخ القبول: 2019/06/26 – تاريخ النشر: 2019/06/30 – ص ص: 156– 165

ملخص البحث:

يتناول هذا المقال أسلوبية الخطاب الروائي مع عرض نموذجين مهمّين للدراسات النظرية والتطبيقية للرواية وخاصة مشروع "حميد لحمداني (وهو مدخل نظري لأسلوبية الرواية)، وما اقتصرت عليه الدراسات النقدية العربية في التعامل مع هذا الفن الأدبي من خلال البلاغة القديمة المرتبطة بالشعر والنثر.

بعد ذلك نتحدث عن آفاق إنشاء منظومة أسلوبية روائية تبدأ بعناصر العمل الروائي من الداخل، وقدرة الروائي ووعيه بتقنيات الرواية، وبنائها الفكري ومقوماتها الجمالية العلمية، وكيفية تحويلها من بلاغة الرواية إلى أسلوبية الرواية من خلال تجاوز الخطاب القديم للبلاغة إلى أسلوبية حديثة، تميز الخطاب الروائي عن الخطابات الأدبية الشعرية والنثرية الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية؛ الخطاب؛ أسلوبية الرواية؛ السرد؛ الحوارية.

Abstract:

This article deals with the stylistic of the narrative discourse with the presentation of two critical models of the theoretical and applied studies, especially Hamid Lhamdani's project (who is the theoretician of the novel stylistic) and what was limited to the Arab critical studies in dealing with this literary art from the old rhetoric associated with poetry and prose. Then, we talk about the prospects of establishing a narrative stylistic system starting with the novelistic work elements inside, the novelist's ability and awareness of the novel techniques, its intellectual structure and global aesthetic bases, and how to turn it from the rhetoric of the novel to the stylistic of the novel by overcoming the old rhetoric to modern rhetoric and stylistic that distinguish the narrative discourse from the other poetic and prose literary discourses.

Key words: the novel, the stylistic, critical studies, narrative stylistic

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1921

على سبيل التقديم:

إن المنطلق الحقيقي الذي جعلنا نتناول بالدراسة فكرة أسلوبية الخطاب الروائي، هي العناية اللافتة للنقاد العرب بإشكالية الأسلوب الروائي، من بين أساليب الفنون الأدبية الأخرى كالشعر والنثر الفني عامة. ولعلّ أول من أشار إلى هذا الموضوع الناقد "حميد لحمداني" في كتابه (أسلوبية الرواية مدخل نظري)[1]، حيث طرح الناقد في كتابه إمكانية إيجاد أسلوبية للرواية، وذلك عن طريق الانتقال من بلاغة الرواية إلى أسلوبيتها، بالاعتماد على ما وصلت إليه الدراسات البلاغية والأسلوبية، ولاسيما الدراسات اللسانية الغربية الحديثة، وهو ما حدا به إلى تجاوز البلاغة العربية القديمة، المرتبطة بالشعر والنثر الفني. وقد حدد العلاقة بين البلاغة والأسلوبية، وتناول العمل الإبداعي الروائي وفق معطياته وخصائصه الفنية، التي تميزه عن غيره من الفنون الأدبية الأخرى. وقد عاب على النقاد العرب دراستهم للرواية وفق مقاييس الشعر والنثر، فدعا إلى ضرورة إعادة النظر في البلاغة القديمة لتصبح بلاغة جديدة جديرة بدراسة العمل الإبداعي الروائي. وحتى يتحقق ذلك وجب أن تكون البلاغة علما يجسد لنا تقنيات الإبداع الروائي، ويطرح عناصر المقومات الجمالية للرواية، وهكذا تتحول بلاغة الرواية إلى أسلوبية الرواية، كما ركز لحمداني على نوعية الوعي الذي يتحكم في إبداع هذا الفن الأدبي من حيث شكله ومضمونه، وهو وعي ذو رؤية شمولية لا جزئية، إضافة إلى اعتماد مناهج متنوعة لمعرفة حقيقة هذا الإبداع الأدبي من داخله، وضبط المعارف بنقد بلاغي أسلوبي للرواية مع مراعاة خصوصية هذا الفن داخل بنيته الفكرية.

إذا كان "حميد لحمداني" قد غلّب في كتابه الجانب النظري لطرحه، فإن الجانب التطبيقي الذي من الضروري أن يصاحب كل تنظيم، لم نعثر عليه في هذا الكتاب، لذلك أردنا أن نتفحص بعض الأعمال التطبيقية حول أسلوبية الرواية، وعندها اهتدينا إلى مقال بعنوان (عن اللغة والتكنيك في القصة والرواية، نموذج تحليلي من يوسف إدريس) للناقد "حسن البنا"[2]، تحدث فيه عن الكتابات التي انصبت على أعمال "يوسف إدريس" القصصية والروائية، خاصة من جانب اللغة والأسلوب، فتناول ذلك بالرجوع إلى أساليب القص التي اهتم بها النقاد في الغرب، وركز على ما يسمى بـ(النموذج المروي) والإدراك المتمثل، وتعرض إلى تحليل بعض القصص القصيرة للكاتب، وجعلها نموذجا تطبيقياً ركز فيه على اللغة والأسلوب، واستفاد في ذلك من جهود عربية وانجليزية. متجاوزا الجانب السطحي الذي تناول به الباحثون والنقاد أعمال "يوسف إدريس" من خلال المقالات والكتب والرسائل العلمية، خاصة ما تعلق بموضوع ثنائية اللغة العامية والفصيحة، ومركّزا على قدرة الكاتب "يوسف إدريس" على التعمق والتغلغل في المشاكل الاجتماعية لأبطال قصصه، وذكر طبيعة لغتهم البسيطة التي يتجاورون بها، ليبرز أهمية العمل المنصبّة حول تناول حياة شخصياته ورؤيته للأشياء من خلال واقعيتها. وانتقل إلى الحديث عن (الحوار) الذي كان مزيجا بين الفصحى والعامية، ثم وصل إلى استخلاص نتائج كتابات النقاد حول "يوسف إدريس" برصد بعض الظواهر الأسلوبية عنده، وركز على اللغة والموضوع والتكنيك وطريقة السرد وبعض الجوانب الموضوعية والبنيوية ولعلّ هذا المعطى النظري والتطبيقي الذي يعد نموذجا لإرساء قواعد أسلوبية الخطاب الروائي، يفتح لنا هذه الإشكالية النقدية على نطاق أوسع ليصبح الحديث عن عناصر الرواية أكثر شمولية وتفصيلا، قصد التأسيس لمنظومة أسلوبية للخطاب

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1921

الروائي نظريا وتطبيقياً، وذلك بإعادة النظر في تموقع عناصر الإبداع الروائي وتشكلها داخل المنظومة الروائية في زمن المبدع، وهو تلاحم فني استيتيقي يشكله المبدع بلمسته الفنية الخاصة، حتى يصبح العنصر الروائي منصهرا في العناصر الأخرى، وذائبا فيها. وهنا يخلق الروائي ذلك التمييز بين أسلوبية الإبداع الروائي وأسلوبية الإبداع الشعري والنثري، وهو ما يثير الناقد "فهو يبحث عن الأثر الجمالي الذي تخلقه تلك الأسلوبية في النص..."[3]، وما البنى الأسلوبية إلاّ تعاضدٌ لهذه العناصر الفنية في الرواية لتخلق لذاتها خصوصية إبداعية، تخالف ما هو موجود في الشعر والنثر، وهو عمل المبدع الروائي وقدرته على تشكيل أدبيته داخل روايته، بوعيه لقيمة هذه العناصر الفنية، ومدى تلاحمها وتماسكها وحبكها الفني، حتى تتجاوز نمطيتها السردية الموروثة إلى خلق بؤر فنية وجمالية تخرق أفق توقع المتلقي، فتثيره حيث "توضع على شريحة الفاحص الأسلوبي الذي يستخرج منها الصور المتكررة لبنية أو بنيات متعددة مشيراً إلى أن هذه الصور المتكررة هي التي تميز أسلوب عمل أدبي معين"[4] فهذه العناصر الفنية تتفاعل في العمل الروائي تفاعلا طبيعيا فنيا تلقائيا لتشكل ظواهر أسلوبية، يتميز بها هذا العمل الروائي، ومقدرة المبدع كفيلة بتحقق ذلك؛ إذ على الروائي أن يخلق عالماً خاصاً به، وبالتالي يحقّق لعمله الروائي فرادته المنوطة به، بفضل ما أتيح له من إمكانات فنية، وقدرات إبداعية في هذا المجال الفني تجعله يؤسس لمنظومة أسلوبية روائية لا تقف على عنصر وحيد، بقدر ما تتشابك فيها جملة العناصر الروائية تشابكاً فنياً، وتوجِد لنفسها أسلوباً خطابياً روائياً من نوع خاص، له مقوّماته وتقنياته إذ أنّ الهدف الأسمى للأسلوبية هو الخطاب الأدبي، وبشكل أدقّ الخصائص المرتبطة بأدبيّة الخطاب، والتحليل المتنوّع لكيفية اشتغال اللغة الأدبية"[5].

وهذه القدرات توجدها مواهب الروائي التي تعمل على خلق شعرية روائيّة، وفرادة أسلوبية في الخطاب لأنّ "الأسلوب هو ما يتميز به الكاتب من سمات أسلوبية تجعله منفرداً عن غيره من الكتاب وهو في الوقت نفسه محاولة من الكاتب تطمح إلى رسم شخصية عن طريق تأليف الكلمات تأليفاً خاصا يشبه السّحر".[6]

ولعل من الكتاب الذين راوحوا بين التنظير والتطبيق حول أسلوبية الخطاب الروائي هو (عدنان بن ذريل) في مؤلفه (النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق) الصّادر ضمن منشورات إتحاد الكتاب العرب، والذي قدمه الدكتور (عبد الله أبو هيف)، وقد قدّم ابن ذريل لهذا الكتاب ثم مهدّ له بتعريف النص، لينتقل إلى الحديث عن الأدبية والنص ثم الأسلوبيات، وركز على ماهية الأسلوب، ثم تحدّث عن البلاغة الجديدة، وهو ما جعلنا نربط ذلك بموضوع أسلوبية الرّواية، من خلال العلاقة بين البلاغة القديمة والجديدة في تناول الإبداع الروائي ثم خصّص الحديث في أسلوبية الرواية انطلاقاً من النص السّردي وطرائق تحليله، وكل ذلك ارتبط بالجانب النظري ليعضد ذلك بما هو تطبيقي، حيث اختار بعض النصوص الروائية كنموذج للتطبيق ومنها (وداعاً يا أفاميا، لشكيب الجابري) و(الوباء لهاني الراهب) و(المتألق لعبد النبي حجازي) و(ثم أزهر الحزن لفاضل السباعي) و(ثلاثية حامينة حكاية بحار) و(الأشرعة وبنات تعشن لنبيل سليمان) وغيرها.[7]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1921

1-أسلوبيّة الرّواية والإرث البلاغي:

إنّ الحديث عن الأسلوب والأسلوبية في الدراسات النقدية ما فتئ ينصبّ على دراسة الشعر فقط، بحيث لم يلق التحليل اللّغوي والأسلوبي للرّواية اهتماما كافياً، لأنّ البحث في اللغة والأسلوب يظل قائما في الأدب ككلّ ومهما كانت نوعية الإبداع الأدبي تظلّ لغته وأساليبه قابلة للقراءة والنقد، لأنّ اللغة الفنّية المجازية عنصر أساسي في العمل الفنّي، يعمل على المحافظة على ديمومته واستمراره ووجوده والبحث في أسلوبية الخطاب الروائي ممكن جدا، مثلما نبحث عن أسلوبية الخطاب الشعري وهي أسلوبية تنطلق من طبيعة اللغة الروائية، التي هي في الغالب مزيج بين فصيحة وعامية، على عكس اللغة الشعرية، وهو ما يجعل الروائي بقدراته ومهارته الفنية يحول اللغة العامية المتداولة بين شخصياته إلى لغة فنية مميزة، تتماشى وأسلوب الخطاب الروائي الموجه إلى المتلقي الناقد خاصة، ولا يتأتى ذلك إلا برفع المستوى الفني للغة حتى تنصهر تلك الثنائية (العامية /الفصحى)، وتصبح هذه اللغة الإبداعية جزءا من السياق العام في الخطاب الروائي من جهة، وعنصرا من عناصر الأداء السردي من جهة أخرى، وهو ما يتطلب الانفلات من عناصر البلاغة الشعرية القديمة التي ظلت تثقل بكاهلها الإبداع الأدبي عامة، والشعري خاصة، حيث "أقيمت على دراسة الشعر والنثر الفني"[8]، وهذه اللغة لا يكون لها قيمة وأهمية لذاتها وجدّتها، بل من خلال إسهامها في خلق إبداع روائي رفيع في مستواه، الفني وإلا قضت على نفسها بركونها في سجن الأسلوب البلاغي القديم، الذي لا يحوّلها إلى أسلوبية روائية جديدة، وهو ما أقر به "حميد لحميداني" في قوله: "لا أحد تجرّأ على الادّعاء أنه يمكن استنادا إلى البلاغة التقليدية عربية كانت أم غربية، أن يتبنى نقداً بلاغيا أو أسلوبيا للرواية الحديثة والمعاصرة".[9]

رغم أنّ البلاغة القديمة كان هدفها إقناع المتلقي حيث بدأت بتحليل الأقوال الخطابية القائمة على فكرة الجدل كما يقول (أرسطو طاليس)، فهي بلاغة موجهة للجمهور المتلقي بصفتها خطاباً يريد الإقناع عن طريق الأدلة والبراهين، إلاّ أنّ هناك ضرورات استدعت وجود البلاغة الجديدة وذلك بتخطّي عملية الجدل إلى دراسة النشاطات الإنسانية عامّة والأدب خاصّة مثل ما فعل (بيريلمان).

لذلك فالأدب عامة لا يكون بمعزل عن البلاغة، لأنّ الأدوات البلاغية الجديدة لها فعاليتها في الخطاب البلاغي، وفي التعبير الفني المنتج للخطاب، لكي يحقّق قيمته، ويتجنّب بلبلة القارئ. لذلك تبحث البلاغة الجديدة في الأدب عامة والرواية خاصة عن الأثر الدّلالي للصّورة، والوظيفة التي تؤديها هذه الصورة داخل العمل الفني تأدية طبيعية انسيابية، حتى لا نقع في شراك الخطاب البلاغي القديم المتصنّع وبخاصة الشكلي الذي لا تظهر فعاليته الإدلائية في النص الأدبي والروائي، خاصة وأنّ الرواية مرتبطة بواقع وجب مراعاته ونقله والتعبير عنه: "عبّر أيضا عن نفسه أمن سلامة إدلائه وأدلته، وما يتطرق إليها من الهدر، حتى عندما يستعمل الارتجال والعفوية".[10]

فقدرة الروائي تكمن في الجمع بين اللغتين الفصحى والعامية جمعا ينطوي على التوافق الفني الذي يذيب بينهما الحدود ويجعلهما لغة إبداعية واحدة، لكي يتجاوز الإبداع الروائي المعتمد على البلاغة القديمة إلى الإبداع الروائي المرتبط بأسلوبية الخطاب الروائي، وهذا يحتاج منه إلى تجديد اللغة البلاغية ومنها أساليب الرواية تماشيا مع المباحث اللسانية الحديثة، وهذا يخلق بلاغة لا تنزع إلى تقليد

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1921

القديم، بل تتجدد بحسب ما تقتضيه متطلبات الرواية الحديثة والمعاصرة بحيث "لا يتجاهل بعض المعالم، والمباحث البلاغية العربية التي إذا أعيد النظر فيها يصبح في الإمكان الاستفادة منها في صياغة بلاغة جديدة للرواية".[11]

2- الإرث الشّكلاني والشعريات البنيويّة رافدا لأسلوبيّة الرّواية:

الكلام على اللغة والبلاغة والأسلوب والخطاب الروائي، يحيلنا إلى الحديث عن تقنيات الرواية التي يشتغل عليها الروائي كمبدع، وهو يتمثل شخصياته داخل عمله الفنّي، بحيث تختلف أحاديث الشخصيات في مستوياتها اللغوية، لاختلاف مواقفهم وأدوارهم وثقافاتهم، وطريقة تفكيرهم، فيحاول الروائي مسايرة واقعهم الاجتماعي ونقله نقلا هادفا، فتكون اللغة العامية على بساطتها لغة بليغة تنفذ إلى القلب والعقل، بفعل قدرة المبدع على جعلها تنسجم واللغة الفنية بشكل عام، فالعبارات اللغوية قد تكون "فصيحة المفردات عامية الروح والدلالة".[12]

ففي الرواية هناك وقائع تنقلها الشخصيات وأحداث تتكلم عن هذا الواقع، في لغة سردية أو حوارية يجب أن تكون اللغة المعربة عن ذلك متوافقة وهذا الواقع أو هذا الحدث "كمناسبة تراكيب معينة للمجتمعات التي تقوم على المساواة، والمبادرة الفردية والحرية ومناسبة تراكيب أخرى للمجتمعات الاستبدادية المؤسسة على الأنظمة التراتبية..."[13]

لقد تحدث (باختين) كذلك عن أسلوبية الرواية التي لم تلق اهتماماً واعترافاً بالأصالة الأسلوبية للكلمة الروائية، الكلمة النثرية الفنية، حيث ظلت الرواية زمناً طويلاً تدرس لمنطلق إديولوجي واجتماعي لا غير، وأهمل ما له علاقة بأسلوبيتها فكانت الدراسات الروائية دراسات عرضية، ونستطيع أن نوضح ذلك بمقال الناقد (جيرموفيسكي) عندما قارن بين الشعر والرواية. "في حين أنّ القصيدة الغنائية عمل فني كلي، خاضع في اختيار كلماته وفي ربطها، سواء من حيث معناها أو من حيث أحداثها، خضوعا تاما لغرض جمالي، نرى رواية (ليوتولستوي) الحرة في تأليفها الكلامي، لا تستخدم الكلمة بوصفها عنصر تأثير، بل بوصفها وسطا محايدا، أو نظام علامات يخضع كما في الكلام العادي لمهمة توصيلية؛ فإن مثل هذا العمل الفني الأدبي لا يمكن أن يسمى عملا من أعمال الفن الكلية، بالمعنى المتعارف عليه في القصيدة الفنية".[14]

لقد أراد (باختين) أن يتجاوز الشكلانية إلى تحليل القول الروائي بأسلوبية سوسيولوجية، أي أن يتجاوز الآليات المعروفة في الأسلوبية كالتركيز على الإيقاع والجرس والتوازي والشكل وغيرها من العناصر التي دعا إليها (جاكبسون) ولا يكون ذلك إلا بتجاوز اللغة القديمة، إلى الوقوف على العناصر الفنية التي تختفي وراء اللغة، وذلك بالغوص في الامتدادات الاجتماعية والإيديولوجية، فدراسة الرواية تحتاج إلى الوقوف عند وعي الكاتب من جهة وعند أبطاله داخل العمل الروائي من خلال اندماجهم في تسيير أحداث معينة كذلك، لأنّ الشخصيات هي في الحقيقة حقل صراع إيديولوجيات معين داخل الفن الروائي؛ وتلك هي (الحوارية Dialogisme) التي يقصدها (باختين) عن طريق إحتكاك الأفكار بعضها ببعض، وهكذا يكون للنظام الروائي حريته وفنيته وأدبيته. إن دراسة الرواية تقتضي من الناقد والأسلوبي أن يعرف بأنّ هذا العمل الفني يتنوع في أساليبه ويختلف في

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1921

أنماطه الكلامية، ويتعدد في أصواته حيث يقول (باختين): "إنّ الرواية ككل هي ظاهرة متعددة في أساليبها، متنوعة في أنماطها الكلامية، متباينة في أصواتها يقع الباحث فيها على عدة (وحدات أسلوبية) غير متجانسة توجد أحيانا في مستويات لغوية مختلفة، وتخضع لقوانين أسلوبية مختلفة".[15]

إن الرواية كفن أدبي إبداعي لها من المميزات والخصائص ما يجعلها تنفرد عن بقية الفنون الأدبية الأخرى، لما لها من تنوّع وتعدّد في الصوت واللغة والكلام عند الشّخصيات المجسّدة للعمل الروائي، ثم ارتباطها بالمجتمع. والروائي بقدرته الفنية والإبداعية يعمل على رسم النظام الفني لهذا التنوّع والاختلاف الفردي، بحسن توزيع الأحداث والوقائع على هذه الشخصيات، وانسجام كل ذلك مع جملة التعابير التي يطلقها المبدع في تصويره للمشاهد والأشياء، وإبداعه لمعانيه ومضامينه وكل ذلك يجمعه ما يسميه (باختين) (بالحوارية)، "أي الأقوال، واللغات، ثم حركة الموضوع وتفتته في تيارات التنوّع الكلامي، الاجتماعي يكسب الرواية (الشحنة الحوارية)، والتي هي الخصيصة الأساسية للأسلوبية الروائية".[16]

فالبلاغة التقليدية ينعدم فيها هذا التداخل والتنوع في الأساليب واللغات، وبالتالي ينعدم ما يسمى بالحوار الاجتماعي داخل العمل الروائي، لذلك اضطلعت الأسلوبية الروائية الجديدة بتحليل الرواية من خلال هذا التنوع اللغوي والكلامي والاجتماعي والصوتي، ذلك هو الإبداع الروائي الحقيقي، فالأسلوبية ليست ثابتة في الرواية كما نجد ذلك في الشعر عندما تضطلع بكشف ما هو جمالي وشعري لتبرز فرادة الشاعر كمبدع. فالأساس في العمل الروائي هو (حوارية الكلمة الروائية)، كما أنّ الأسلوبية السوسيولوجية، هي الأسلوبية المناسبة لدراسة العمل الروائي، لأنّ الكلمة بتموضعها وسط أقوال الآخرين ومحاورتها للغاتهم تعطي للأسلوب الروائي خصوصيته الفنّية ومعناه الإبداعي، فهذا التنوع الكلامي والتعدد الصوتي، وارتباطهما بما هو اجتماعي وإيديولوجي يجعل من العمل الروائي نظاما فنّياً متماسكاً، ويخلق بذلك أسلوبية روائية خاصة وخطاباً روائياً مناسباً إذ إنّ "التنوع الكلامي الذي يدخل الرواية، يخضع لمعالجة فنّية؛ فكل الأصوات الاجتماعية والتاريخية التي تسكن اللغة، أصواتها، وأشكالها، وتعطي هذه اللغة معاني محدّدة، مشخّصة، تنتظم في الرواية في نظام أسلوبي متماسك، يعبّر عن موقع المؤلف الإيديولوجي، الاجتماعي المتمايز في النوع الكلامي للعصر".[17]

3-أسلوبيّة الرّواية في النّقد العربي:

الملاحظ على حركة النقد الأدبي الحديث والمعاصر، أنّ لغتها البلاغية أو الأسلوبية، لم تتجذّر بشكل عميق داخل الأدب الحديث والمعاصر، بحيث تفرض نفسها في الحقل النقدي، وهو ما يجعل تجذّرها في العمل الأدبي الروائي أصعب بكثير، فالدّراسات العربية للسرد القصصي والروائي ركنت إلى المقاييس البلاغية التقليدية وهي مقاييس نشأت لدراسة جماليات الشعر والنثر وهكذا "ولسوء الحظ لم يُتح لهذه الخيوط اللغوية والأسلوبية أن تنمو وتمتد في نسيج النقد الأدبي عندنا بصورة تجعلها تزدهر وتؤدي إلى قراءة عميقة للأدب المعاصر".[18]

فالأعمال النقدية الحديثة والمعاصرة، وهي تدرس الرواية في لغتها وأسلوبها، بيّنت المواطن الجمالية الجزئية كظواهر أسلوبية، دون إيجاد مبرّرات ومسوّغات للتدليل على هذه الظواهر الأسلوبية، لأنّ اللغة الروائية ليست لغة شعرية مشرقة ومتأنقة كما نلمحها في الشعر أو حتى في

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1921

الخطب والرسائل النثرية، وبالتالي خصوصية اللغة الروائية تحتاج إلى آليات نقدية جديدة تسبر أغوار جمالها وأسرار تأنّقها، وفق ما يتطلبه الإبداع الروائي، فالغاية الجمالية التي يقصدها المبدع ليست واحدة بين كلّ هذه الفنون الأدبية، لذلك تحتاج الرواية من المبدع إلى أسلوبية خطاب جديدة، يتلقفها الناقد والمتلقي بطريقة مختلفة عمّا يتلقى به الشعر أو بقية الفنون النثرية الأخرى، بحيث يجعل المبدع الروائي من البلاغة القديمة أسلوبية جديدة مشرقة في لغتها تتماشى ومتطلبات هذا الإبداع الروائي ومعطياته التقنية والجمالية المعاصرة، حيث "إنّ البلاغة العربية القديمة لم تبلغ جوهر الفهم البلاغي لطبيعة الفن القصصي، وذلك لأنّها لم تتمكن من تحويل ذاتها إلى أسلوبية تتجاوز إطار الجملة لتتأمل ما يمكن تسميته ببلاغة الخطاب بوصفه حلا موحدا".[19]

إنّ الإبداع الروائي يحتاج إل تحرر في لغته وأسلوبه من نمطية البلاغة القديمة، التي لم ترتق إلى مستويات من التطور الفني الذي يجعلها تستوعب التقنيات الروائية الحديثة وتستثمر في مقوماتها الجمالية بأن توجد لذاتها أسلوبية جديرة بالفن الروائي، وهو ما يحتاج إلى البحث عن قوانين نظرية تضبط الفن الروائي، ثم الإنطلاق من عمق هذا الفن، ومن سماته وخصوصيته لتشكيل منظومته النقدية وبنيته الفكرية "فإذا كان ينظر إلى الدراسات الأسلوبية في غالب الأحيان من زاوية كونها تعالج قضايا الشكل والصياغة الصورية فإنّ النظرة الشمولية التي نُظرَ بها إلى الرواية، وضعت أسلوبية الرواية في إطار شروط التلفظ وفي طليعتها نوعية الوعي الذي يتحكم في صياغة العمل الروائي شكلا ومضمونا".[20]

فالنهوض بأسلوبية جديدة في الخطاب الروائي يتطلب من النقاد أن يأخذوا بخصوصية الإبداع الروائي على أنه يُنظر إليه وفق رؤية شمولية لها خصوصيتها المختلفة عن رؤيتهم للشعر وباقي الفنون النثرية الأخرى، وأن يفصلوا بين علاقة البلاغة القديمة بالرواية، وعلاقتها بالأسلوبية الحديثة، مع تكوين وعي نقدي خاص بهذا الفن السردي، يبدأ بكيفية تشكله من الداخل وتوفير العوامل التي تتحكم فيه فنيا، من حيث أحداثه وشخصياته وحواره وإيحاء لغته وسرده، وجملة العناصر الفنية التي يتأسس عليها، ثم الوعي بطريقة بناءه وتشكله الفني، مع الولوج إلى خبايا هذا الإبداع الفني لمعرفة أسراره الجمالية وبالتالي التحكم في المناهج التي ندرس بها هذا النوع من الإبداع وفق منظور لساني وسيميولوجي وجملة الآليات الإجرائية التي تساعد على دراسته، فأسلوبية الرواية الحديثة تحتاج إلى التغلغل في معرفة جملة الأساليب المتعلقة بشخصيات الرواية والتي يتمثلها الروائي داخل إبداعه الفني لأنّها بتباينها تخلق أصواتاً مختلفة ومتعددة المشارب، والتي لابدّ لها وأن تنسجم مع صوت المبدع بشكل عام وهي قدرة فنية منوطة بالروائي في حدّ ذاته ليختزل هذه الأساليب من خلال شخصياته التي تؤدي أدوارها من خلال أحداث روائية في أسلوب موحد، وهو خطاب أسلوب عام للرواية، ينطلق من صوت المبدع في حد ذاته إذ "المنطلق الأساس في هذا الخطاب هو إقامة نقد بلاغي أسلوبي للرواية باعتماد خصائص هذا الفن الذاتية، داخل بنيته الفكرية، دون سواها وترك المؤثرات الأخرى التي تعود إلى رواسب البلاغة القديمة التي أقيمت على دراسة الشعر والنثر الفني".[21]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1921

فالخطاب الأسلوبي الروائي هو ذوبان العناصر القصصية المعروفة، خاصة الحوار (Dialogue)، الذي يعمل الروائي على تشكيله بشكل تلقائي وطبيعي معتمدا الإيحاء والكثافة والشاعرية في مستوى القضية الإنسانية المتشابكة التي يعالجها الموضوع، ويختار الروائي لغته بحيث تكون في مستوى الشخصيات التي تمارس فعل الحوار، وهذا كله مرتبط باللمسة الإبداعية للروائي وجماليات الكتابة الروائية عنده وخصوصيتها التي يتميز بها عن الآخرين، مع توفير الانسجام بين لغتي الحوار والسرد (Narration) بحيث كلما رسم الروائي غاياته الفنية بتوظيف اللغتين استطاع أن يتحكم في عالمه الروائي، فالخطاب الأسلوبي الروائي هو على حقيقة أمره "بناء بلاغة عامة جديدة، تستوجب انجازات البلاغة القديمة وتستفيد من الانجازات الأسلوبية الحديثة".[22]

وتبقى خصوصية الخطاب الرّوائي الأسلوبية مرتبطة بمقدرة الروائي تمثله لهذا الخطاب والأسلوب كروائي لا كشاعر أو ناثر بحيث "تبقى روح المؤلف مع هذه الذاكرة الأسلوبية هي المحور الأساسي الذي تستقطبه آليات النقد الأسلوبي والمؤلف هنا لا يشغل دائرة ضيقة ما دام يحمل صورة عصره وأمته".[23]

ولا شك أن هذه الصورة تتسع في العمل الروائي أكثر منها في أي عمل أدبي آخر لارتباط الرواية بما هو اجتماعي في جزئياتها وتفصيلاتها، وهو عنصر مهم يفتح للروائي آفاقاً للتحليق بعيدا بجمالياته وخلق أدبية لنصه الروائي التي تفرض نفسها على المتلقي وتفرض عليه خطابها الأسلوبي بشكل تلقائي وانسيابي دونما ضغط على عواطفه وحجر على أفكاره "فالنص الأدبي المتمكن من أدبيته لا يستجيب للتأويلات الخرقاء ولا تتلفه القراءات المختلفة والمتباينة لأن تنوع القراءات دليل طاقته الأدبية، هذه سمة من سمات بقاءه وخلوده، وإشارته لرد أفعال القُراء".[24]

لكن القراءة النقدية هي قراءة تأملية تركز على جوانب عدة من النص الأدبي، وتحتاج هذه القراءة إلى الأسلوبية لتبرز بمنهجها مظاهر الجمال اللغوي الكامن داخل النص "وعلى ذلك فإن الأسلوبية تواصل تأملها لعالم النص عن طريق القراءة المتعددة الوجوه...".[25]

وعلى العموم فإن أسلوبية الخطاب الروائي كغيرها من الأسلوبيات في الشعر والنثر مرتبطة بلغة الرواية وما تتميز به أثناء مباشرة الروائي لعمله من الداخل، ليأتي الناقد الأسلوبي ويبحث في هذه اللغة وما تطرحه من مفاهيم إذ؛ " إن الأسلوبية تحليل لغوي موضوعه الأسلوب وشرطه الموضوعية وركيزته الألسنية وهو الأقرب إلى الجمع بين جملة مفاهيم متفرقة".[26]

الإحالات والهوامش:

1- ينظر حميد لحمداني، أسلوبية الرواية مدخل نظري، دار النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، المغرب 1989، في 6-151.

2- ينظر حسن البنا، مقال (عن اللغة والتكنيك والقصة والرواية، نموذج تحليلي من يوسف إدريس)، مجلة فصول في النقد الأدبي، مجلد 5، عدد1، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص ص 131-151.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1921

3- بشرى صالح، مقال (المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث)، مجلة علامات، مج10، عدد40، السعودية، 2001، ص ص 288-289.

4- إبراهيم خليل، في النقد والنقد الألسني، مختارات أردنية، دراسات نقدية، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2002، ص 144-145.

5- GEORGE MOLINIE, La stylistique, 1er édition quadrige, Novembre 2004, presse universitaire de paris, France, 1993,p 55.

6- بشير تاوريرت، محاضرات في مناهج النقد العربي المعاصر، دراسة في الأصول والملامح والإشكاليات النظرية والتطبيقية، مكتبة اقرأ، ط1، قسنطينة، الجزائر، 2006، ص151.

7- ينظر: عدنان ابن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 05 – 192.

8- فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2003، ص 90.

8- حميد لحمداني، مرجع سبق ذكره، ص 06.

9- المرجع نفسه، والصفحة فسها.

10- عدنان ابن ذريل، مرجع سبق ذكره، ص 57.

11- المرجع نفسه، ص 58.

12- ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، ط1، سوريا، 1988، ص 173.

13- المرجع نفسه، ص ص 14 – 17.

14- المرجع نفسه، ص ص 17 – 20.

15- المرجع نفسه، ص ص 61 – 63.

16- حسن البنا، مرجع سبق ذكره، ص 138.

17- المرجع نفسه، ص 132.

18- حميد لحمداني، مرجع سبق ذكره، ص 31.

19- فرحان بدري الحربي، مرجع سبق ذكره، ص 92.

20- جيزيل فالانسي، النقد النصي، ضمن كتاب مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر، رضوان ظاظا، ص 215.

21- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، الأسلوبية والأسلوب، ج1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 165.

22- بشير تاوريرت، مرجع سبق ذكره، ص 184.

23- محمد الهادي الطرابلسي، بحوث في النص الأدبي، الدار العربية للكتاب، ط1، تونس، 1988، ص ص 24-26.

24- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2003، ص 165.

25- جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1987، ص 38.

26- جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1987، ص 38.

مراجع البحث:

- إبراهيم خليل، في النقد والنقد الألسني، مختارات أردنية، دراسات نقدية، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2002.
- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2003.
- بشرى صالح، مقال (المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث)، مجلة علامات، مج10، عدد40، السعودية، 2001.
- بشير تاوريرت، محاضرات في مناهج النقد العربي المعاصر، دراسة في الأصول والملامح والإشكاليات النظرية والتطبيقية، مكتبة اقرأ، ط1، قسنطينة، الجزائر، 2006.
- جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1987.
- جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1987.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1921

- جيزيل فالانسي، النقد النصي، ضمن كتاب مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر، رضوان ظاظا.
- حسن البنا، مقال (عن اللغة والتكنيك والقصة والرواية، نموذج تحليلي من يوسف إدريس)، مجلة فصول في النقد الأدبي، مجلد 5، عدد1، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
- حميد لحمداني، أسلوبية الرواية مدخل نظري، دار النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، المغرب 1989،
- فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2003.
- محمد الهادي الطرابلسي، بحوث في النص الأدبي، الدار العربية للكتاب، ط1، تونس، 1988.
- ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، ط1، سوريا، 1988.
- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، الأسلوبية والأسلوب، ج1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ينظر: عدنان ابن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.
- GEORGE MOLINIE, La stylistique, 1er édition quadrige, Novembre 2004, presse universitaire de paris, France, 1993,.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1921